

كركوك : المدينة الكردية التاريخ والرمز

الدكتور ج. گرمياني

مقدمة

تعد كركوك اقتصادياً وسياسياً أبرز المدن الكردية لكردستان العراق والأكثر أهمية من كل مدن كردستان. لذا كانت هذه المدينة في المرتبة الأولى من بين المدن والمناطق التي استهدفتها سياسة التعريب، وهذا البحث يحاول إيجاد وتوضيح الحقائق والأحداث التاريخية التي تثبت اصالة وعراقية مدينة كركوك وفي الوقت ذاته يربط مصير هذه المدينة بالأمة الكردية ووطنها كردستان منذ ظهور الكرد، أي منذ ظهور الكوتيين كمجموعة بشرية معروفة في الشرق الأوسط. وقد تطور اسم المدينة شيئاً فشيئاً لأنها من أقدم مستوطنات أسلاف الكرد على أرض كردستان، وهم الذين بنوها قبل وصول الأتراك والعرب إليها بزمن طويل.

أسلاف الكرد وأولى سلطاتهم

الكرد من أقدم شعوب جنوب غرب آسيا، وقد ظهر هذا الشعب على الرقعة الجغرافية لكردستان في حوالي الألف الثالث قبل الميلاد وكان حينها يسمى گوتو Gutu أو گوتي Guti وفي بدايات القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد قامت (مملكة گوتيام) أولى دولة كردية في تاريخ الشرق الأوسط القديم، وقد ذكرها السومريون حينها بأنها مملكة مستقلة لا تنقل شأنها عن مملكتي (سويارتو) و(عيلام)^(١). والكوتيون (أي المحاربون)^(٢) كانوا أسلاف الكرد الحاليين^(٣) وكانت حدود مملكتهم تمتد شمالاً من نهر الزاب الأسفل حتى نهر سيروان (ديالى) شرقاً، ومن الغرب تمتد من نهر دجلة حتى جبال السليمانية شرقاً. وكانت عاصمتهم في موقع مدينة كركوك حالياً، وكانت حسب سندي سميث تسمى عرفه Arrapha^(٤)، أو أرابخا Arrapkha حسبما جاء في تاريخ كميردج^(٥). وهذا يعني أن منطقة كركوك الحالية كانت كلها جزءاً رئيسياً من أرض گوتيام الكردية القديمة، وهذا أول الجذور التاريخية لهذه المدينة الكردية القديمة، حيث بلغت شهرة مدينة عرفه (كركوك) في ذلك الوقت حد تسمية كل

1- Arshak Safrastian, Kurds and Kurdistan, The harvil Press, London, P. 17.

2- Foreign Office, Armenia and Kurdistan, London, 1920, P. 4.

٣- هذا التوجه غير قابل للنقاش لأن المصادر والكتب أثبتت صحته.

4- Sudny Smith, Early history of Assyria to 1000 B.C, Chatto of Windus, London, 1926, pp. 88, 191, 230.

5- The Cambridge Ancient history vol. 111, (The Assyrian Empire) The University press, 1925, pp.7, 34, 128, 223.

منطقة كركوك الحالية بذلك الاسم. كما أن مدينة كركوك عرفت في الماضي بأسم مدينة الآلهة^(٦). ولزيد من المعلومات فإنّ الإسم عرفه لايزال يستخدم ويطلق على الحي الذي بنته شركة نفط العراق في كركوك وأطلقت عليه حي العمال. ويثبت بعض النصوص المسمارية السومرية والآكدية أن الكوتيين في عرفه (كركوك) تمكنوا من دحر الأكديين في السهول الغربية واحتلال وطنهم ويفرضوا عليها سلطتهم واحداً وتسعين عاماً وأربعين يوماً (في حوالي ٢٢٢٨-٢١٣٧ ق.م) وحكمهم في تلك الفترة عشرون ملكاً كوتياً كما مبين في جدول الآتي الذي يوضح فترة حكم كل ملك كوتي لأكد منذ ٢٢٢٨

ق.م:

| ت | إسم الملك | فترة حكمه |
|----|---------------|-------------------|
| ١ | أمتا | ٣ سنوات |
| ٢ | أنكيشو | ٦ سنوات |
| ٣ | إيكيلا كاب | ٦ سنوات |
| ٤ | شوله | ٦ سنوات |
| ٥ | ألولومش | ٦ سنوات |
| ٦ | أنياما باكش | ٦ سنوات |
| ٧ | أكشاوش | ٣ سنوات |
| ٨ | أيار لاكاب | ١٥ سنة |
| ٩ | أباته | ٣ سنوات |
| ١٠ | أيار لاكاش | ٣ سنوات |
| ١١ | كوروم | سنة واحدة |
| ١٢ | كوروم | ٣ سنوات |
| ١٣ | كوروم | سنتان |
| ١٤ | إيراروم | سنتان |
| ١٥ | أبرانوم | سنة واحدة |
| ١٦ | هالبيوم | سنتان |
| ١٧ | پوزورسين | ٧ سنوات |
| ١٨ | أيار لاكاب | ٧ سنوات |
| ١٩ | أيار لاكاب | ٧ سنوات |
| ٢٠ | تيربگان | ٤٠ يوماً |
| | مجموع السنوات | ٩١ سنة و ٤٠ يوماً |

6- C.J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, London, 1957, p. 289.

هجرة الهندوأوروبيين

بدأت الهجرة الهندوأوروبية الى الشرق الأوسط وكردستان في بدايات الألف الثاني قبل الميلاد، حيث حط الميديون (Medes) الرحال على جبال كردستان وامتزجوا بصورة تامة مع الكوتيين الذين أخذوا يرتبطون بالميديين بروابط الدم واللغة ليصبح الاثنان شعباً واحداً، ومنذ ذلك التاريخ عرف الكرد باسم الميديين. تمكن الشعب الميدي (الكردى) في حوالي سنة ٧٠٠ ق.م من تأسيس الدولة الميدية التي دام حكمها ١٥٠ عاماً حتى سقطت عام ٥٥٠ ق.م^(٧). والأمر الهام في هذه المسألة أن تلك الدولة نقلت عاصمتها من عرفه (كركوك) الى مدينة أقباتان (همدان) وبهذا تم تهميش كركوك. ولم يذكرها المؤرخون بعد هذا التاريخ إلا في مناسبات قليلة، ورغم تعرض كركوك للعديد من الهجمات التي شنتها شعوب الجوار فانها حافظت على طابعها الكردي وظلت مدينة كردية.

من بين العوامل التي أدت الى نقل العاصمة، تعرض تلك المناطق من كردستان لهجمات الاشوريين المستمرة، وقد احتل الآشوريون في فترة من الفترات مدينة كركوك نفسها، وهذا ما دفع الملك الميدي كياكزرز (كيخسرو) - عندما تحالف من أجل خوض حرب مصيرية ضد الآشوريين مع الملك البابلي نبوبلاسر في الفترة (٦١٧-٦١٢ ق.م) - الى التفكير قبل كل شيء في هجوم مركز على الاشوريين وتحرير عرفه (كركوك) وإعادة ضمها الى الإمبراطورية الميدية، وذلك قبل أن يشن هجوماً شاملاً على الآشوريين^(٨).

بعد سقوط الإمبراطورية الميدية في ٥٥٠ ق.م. على يد كورش الاخميني خضعت كردستان كغيرها من الأقاليم المحيطة بها للحكم الأجنبي، فمثلاً سيطر عليها الأسكندر المقدوني بعد انتصاره على داريوس ملك فارس في معركة أربيل عام ٣٣١ ق.م. أو بعد موت الأسكندر سنة ٣٢٣ ق.م في بابل متأثراً بمرض الملاريا أخضعت كردستان (وكركوك جزء منها) لحكم الدولة السلوقية (٢٣٢-١٢٩ ق.م). وفي هذه الفترة كانت المصادر الآرامية تطلق على كركوك إسم (كرخا - و - بيت سلوخ) أي مدينة السلوقيين كما أطلق عليها (كرخ سلوخ) ويعتقد البعض أن الاسم الحالي (كركوك) مشتق من ذلك الاسم^(٩).

السيطرة الأجنبية وتقسيم كردستان

في الفترة (٢٤٧-٢٢٦ ق.م) خضعت كردستان وبضمنها كركوك لسيطرة پارس، ثم أخضعت في (٢٢٦ ق.م - ٦٣٦ م) لسيطرة الساسانيين وفي هذه الفترة عرفت كركوك باسم (گمرکان Gamarkan)

7- The Historian Histore of theworld, vol 11, Herry smith williams, London, 1926, p. 380.

٨- للمزيد من المعلومات أنظر: Herodotus, The Histore, penguin Books, 1984, p. 82. فلاديمير مينورسكي، الأكراد احفاد الميديين، ترجمة د. كمال مظهر احمد، مجلة المجمع العلمي الكردي، ج ٨، العدد ١، ١٩٧٣.

٩- بشير فرنسيس وكوركيس عواد، نبذة تاريخية عن أصول وأسماء الأماكن العراقية، مجلة سومر، مجلد ٨، ١٩٥٢، ص ٥٧٢.

وبعد الفتح الإسلامي للمنطقة خضع الشعب الكردي في الفترة (٦٣٦-١٢٥٨م) كبقية شعوب المنطقة لحكم الدول الإسلامية. وقد أطلقت المصادر الإسلامية في هذه الفترة أسم (كرخيني) على كركوك. فيقول ياقوت الحموي (١٢٢٨م) عن كركوك: «قلعة تقع في أرض منبسطة بين داقوق وأربل على تلة مرتفعة ذات حواف ضيقة» وهذا الوصف ينطبق تماماً على مدينة كركوك الحالية^(١٠).

في أوائل القرن السادس عشر، وعند ظهور الدولتين الصفوية الى الشرق من كردستان والعثمانية الى الغرب، باتت كردستان بميزاتها الجغرافية الإنسانية الحضارية التي تحدها من الشمال جبال أرارات ونهر آراس وتمتد جنوباً حتى مشارف بغداد^(١١) ساحة للصراع بين هاتين الدولتين العدويتين، وكما يقول كوجيرا: كانت كردستان في القرنين السابع عشر والثامن عشر بمثابة قلعة مغلقة في وجه الصراع التركي - الإيراني. إلا أن الصراع بين الدولتين كان يؤدي الى انتقال الحدود بينهما شرقاً وغرباً حسب ما تمليه الحرب والمعاهدات بين الجانبين التي كان محورها يدور حول كردستان، فقد كانتا تكتسحان حدود كردستان وتحتلانها. وكما أن معاهدة زهاو عام ١٦٣٩ أنهت مرحلة التوسع فإنها كانت بداية تقسيم كردستان الى قسمين: الشرقي الخاضع للسيطرة الفارسية، والغربي الخاضع لسيطرة العثمانيين^(١٢) وبهذا باتت كركوك خاضعة للسيطرة العثمانية فموجب المعاهدات الفرعية التي تلت أصبح جنوب كردستان وبلاد ما بين النهرين تحت السيطرة العثمانية^(١٣) خاصة في ظل حكم السلطان مراد الرابع بعد ١٦٣٨. وقد قسم مراد الرابع هذه البلاد الى ثلاث ولايات هي: الموصل وبغداد وكركوك التي كانت تسمى ولاية شهرزور. وفي ١٨٧٩ باتت ولاية الموصل ولاية مستقلة تتألف من ثلاث سناجق هي: كركوك والسليمانية والموصل.

وظلت كركوك كغيرها من أجزاء جنوب كردستان جزءاً من الإمبراطورية العثمانية حتى ١٩١٨، حيث أخضعت بعد هذا التاريخ لسيطرة الإحتلال البريطاني ثم ألحقت بالملكة العراقية التي تأسست سنة ١٩٢١^(١٤)، وبهذا أضحت كركوك واحدة من أبرز المدن الكردية في العراق فوق أرض هذه المدينة حتى ٢٠ كانون الأول ١٩٢٤ عندما قام الملك فيصل الأول بأولى زيارة لها.

إسم كركوك وتطوره التاريخي

فيما يلي نقدم ملخصاً لتطور اسم مدينة كركوك كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية: كانت مدينة كركوك في العهد الساساني تسمى گمرکان، وورد اسمها في المصادر السريانية بصيغة بيت گرمه

١٠- عبدالرزاق حسين، العراق قديماً وحديثاً، دار اليقظة، بغداد، ٧، ١٩٨٢، ص٢١٨.

11- Major Frederik Millingen, Wild pife among the Kurds, London, 1870 p. 146.

12- C. J. Edmonds. The Iraqi persian Frontier 1636 - 1938, Asian Affairs, vol. 62, part 2, June, 1975.

13- League of Nations, Question of the frontier Between Turkey and Iraq, 1924, pp. 59-65.

١٤- حول حقيقة ومهزلة إنتخاب فيصل ملكاً وأوضاع كركوك آنذاك أنظر: درموند ستيوارت، تاريخ الشرق الأوسط الجديد، معبد جالينوس، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٤ وعبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ط ٧، ج ١، بغداد، ص ٢٢٢.

Beth Garne، كما أطلقت عليها المصادر نفسها (كرخادي بيت سلوخ Karkha de Beth Selokh) في العهد السلوقي، حيث شيد سلوقس برجاً فوق قلعتها عندها ألحق الأسم سلوخ أو سلوقس بالمدينة وفي الوقت عينه عرفت قلعتها باسم سربوي أو سربوگ Sarbuy or Sarbug. وقد أضحت كركوك في العهد الساساني مركزاً للنساطرة وأقيم بها مقر لمطارتهم فانتعش فيها الدين المسيحي في عهد يزيدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧م). ويبدو أن أول استعمال للفظه كركوك جاءت بعد وفاة مظفرالدين كوكبري سنة ١٢٣٢م عندما كانت دويلته جزءاً من الدولة العباسية، ثم لم تلبث أن احتلها المغول. فقد ورد أسم كركوك لأول مرة في كتاب (تاريخ تيمور) لشرف الدين علي يزدي، إذ جاء فيه: «لما احتل تيمور العراق سلك طريق داقوق وكركوك وألتون كوپري متوجهاً صوب دياربكر في ٢٠ كانون الأول ١٤٠٣». وهذه اولى إشارة صريحة الى اسم كركوك^(١٥).

الخلاصة والإستنتاجات

مما ذكرنا نستنتج أن الكرد وأسلافهم، قبل هجرة الأتراك من أواسط آسيا الى الأناضول^(١٦) وقبل ألفي سنة من خروج العرب من اليمن وأطرافها باتجاه شمال شبه الجزيرة العربية^(١٧) وقبل ألف سنة من بلوغ الفرس العراق^(١٨) كانوا متواجدين في كركوك بصورة خاصة وكردستان عامة، فقد كان سكان كركوك ومناطق الجبال والتلال المحيطة بها منذ عصور موغلة في القدم من الكرد، وقد سكن العرب سهول العراق بعد الفتوحات الاسلامية فقط^(١٩). ومن هذا يتبين أن كركوك هي من أقدم المدن الكردية وأكثرها إلتصاقاً بالتاريخ الكردي القديم، وهذا دليل الإلتصاق التاريخي للكرد بأرض كردستان. لذا كانت مدينة كركوك حقاً المدينة التاريخ والرمز بالنسبة للكرد.

15- The Encyclopaedia of Islam, vol, Leyden - London, 1927, PP: 1027-1028.

١٦- بلغت طلائع السلاجقة الأتراك الى الأناضول بعد حرب مانزكت مع البيزنطيين سنة ١٩٧٨م.

١٧- بدأت الهجرة العرب من اليمن في حوالي ٥٠٠ ق.م.

١٨- بلغ الفرس العراق (بلاد فارس) في حوالي ٢٠٠٠ ق.م.

19- Military Report on Mesopotamia, (Areaq), Central Kurdistan, Government. Monotype Press, Simla, 1920, p. 1.

المصادر

المصادر العربية

- ١- بشير فرنسيس وگورگيس عواد، نبذة تاريخية عن أصول وأسماء الأماكن العراقية، مجلة سومر، مجلد ٨، ١٩٥٢.
- ٢- درموند ستيوارت، تاريخ الشرق الأوسط الجديد، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٤.
- ٣- عبدالرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، دار اليقظة، بغداد ط ٧، ١٩٨٢.
- ٤- فلاديمير مينورسكي، الأكراد احفاد الميديين، ترجمة د. كمال مظهر احمد، مجلة المجمع العلمي الكردي، ج ١، العدد ١، ١٩٧٣.

المصادر باللغة الانكليزية

- 1- Arshak Safrastion, Kurds and Kurdistan, The Harvill press, London, 1948.
- 2- C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arbs London, 1959.
- 3- C. J. Edmonds, The Iraqi - persian Frontier 1636-1938, Asian Affairs, vol. 62, part 2, June, 1975.
- 4- Foreign office, The Iriqi - persian Frontier 1936-1638 Asian Affairs. vol. 62 pant 2, June, 1975.
- 5- Herodotus, The History, penguin Books, 1984.
- 6- League of Nations, Question of the Fronticr Betwee Turkey and Iraq, 1924.
- 7- Major Frederik Millingen, wild life among the Kurds, London, 1870.
- 8- Military Report on Mesopotinia, (Areeaq), Central Kurdistan, Governmert Mon-otype prss, Simle, 1920.
- 9- The Cambridye Ancienf History, vol (The Assgian Empire), The University prss, 1925.
- 10- The Encyclopaedia of Islam, vol Leyden, London. 1927.
- 11- The Historian History of the world vol. Herry smith williams, London, 1926.